سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ ١

نظر الله للقلوب

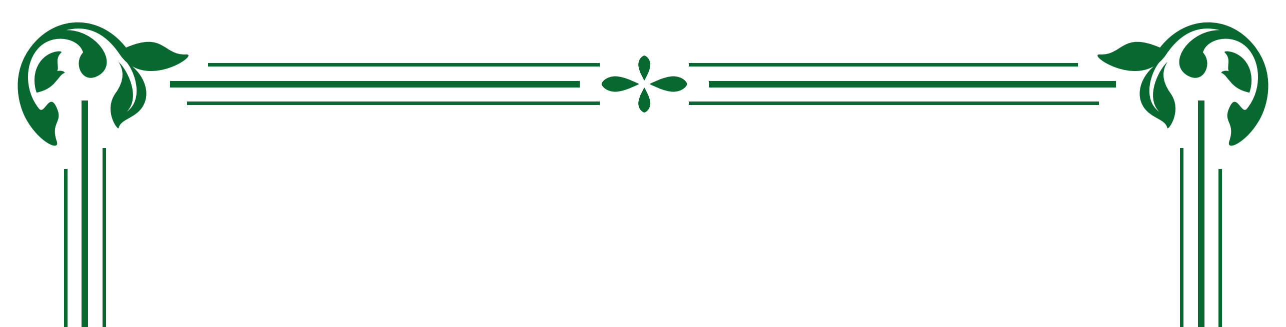
لفضيلة الشيخ الدكتور

سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين



الشيخ لم يراجع التفريغ





للإعـــلام بالأخطاء الطباعيـــة والاستدراكـات
والاقتراحات يرجى المراسلة على البريد التالي:

shadharat42@gmail.com

shadharat42 shad_harat42

+213673511001







سلسلة المحاضرات واللقاءات العلمية لفضيلة الشيخ (١)

نظر الله للقلوب

لفضيلة الشيخ الدكتور

سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري

غفر الله له ولوالديه ولمشايخه وللمسلمين

النسخة الأولى

المقدِّم:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين، سيدنا وقدوتنا وإمامنا وحبيبنا محمد بن عبدالله، وعلى آله وصحبه، ومن سار على نهجه واقتفى أثره إلى يوم الدين.

ثُمَّ أمَّا بعدُ:

-أعزائي المشاهدين والمشاهدات- أحيّيكم بتحية الإسلام، تحية أهل الجنة الكرام، فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وأسأل الله عَزَّوَجَلَّ بأسمائه الحسنى وصفاته العلا أن يحي قلوبنا دوما على طاعته، وأن يحييها على مرضاته، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

ويشرفني -أيها الإخوة- كما عودناكم دائما وأبدا أن ننتقي لكم ثلة من علماء هذه الأمة، وكوكبة منيرة أنارت لهذه الأمة دروب الخير والهداية والمعتقد الصحيح.

يشرفني باسمكم جميعا -أيها الإخوة والأخوات- أن أرحب باسمكم بمعالي الشيخ الدكتور: سعد بن ناصر الشّثري، عضو هيئة كبار العلماء سابقا، وعضو هيئة تدريس بجامعتي الإمام سابقا وبجامعة المعرفة.

فضيلة الشيخ، حياكم الله معنا في هذا اللقاء، وأهلا ومرحبا بكم.

الشيخ:

الله يحييك، أرحب بك، وأرحب بالمشاهدين الكرام.

وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يجعل هذا اللقاء لقاء نافعا مباركا.

المقدِّم:

آمين يا رب العالمين.

وموضوعنا اليوم -أيها الإخوة والأخوات- حول: «**نظر الله للقلوب**».

ولسلامة القلب عظيم الأثر في سعادة المرء في الدنيا والآخرة؛ فلا يكاد العبد ينتفع بشيء في دنياه وأخراه أعظم من انتفاعه بسلامة قلبه؛ سلامته من الشرك، والنفاق، والرياء، والكبر، والعجب، وسائر الأمراض التي تعتريه ولا أعني بذلك أمراض البدن التي منها أمراض القلوب، وإنما أعني تلكم الأمراض التي تعتري القلب مما يتعلق بدينه فهي أعظم الأمراض فتكا على الإطلاق، وأشدها تدميرا، وأسوأها أثرا.

بل وليست هنالك مقارنة على الإطلاق بين مرض البدن ثم يعتري القلب، والقلب يحتاج إلى بعض الأدوية والمسكِّنات، وبين مرض يجرح دين الإنسان، ويذهب تقواه، ويذهب دينه إلى ما لا نهاية.

فالأخير يجلب على العبد نكدا وهما وغما وعذابا في الدنيا والآخرة، أما الأول فقد يثاب عليه العبد المؤمن إذا صبر واحتسب.

ولكن من قصور نظر الخلق أنهم لا يُولون الأهم والأخطر وهو المرض المتعلق بالدين أدنى أهمية.

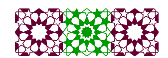
وفي المقابل -أيها الإخوة والأخوات- إذا شعر أحدهم بأي مرض عضوي يعتري قلبه أو جسده فإنه يبادر بسرعة بالذهاب إلى الطبيب -كما هو معروف لدينا-.

وخفي على هؤلاء أن هذه الحياة الدنيا إنما هي سنوات قليلة، وأيام معدودة، بعد ذلك هنالك الدار الآخرة التي هي الحيوان، لو كانوا يعلمون.

- فما السبيل لعلاج تلك العلل؟
- وكيف نجعلها تتلذذ وتهنأ بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ؟
- وكيف نجعلها مراقبة لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ في سائر أوقاتها، وفي سائر حياتها؟

هذا ما سنتناوله بإذن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ مع شيخنا الكريم معالي الشيخ الدكتور: سعد بن ناصر الشّثري، عضو هيئة كبار العلماء سابقا، وعضو هيئة التدريس في جامعة المعرفة.

بداية وبادئ ذي بدأ فضيلة الشيخ نريد أن نتحدث عن أهمية الحديث عن هذه القلوب وخصوصا في هذا الزمان الذي نعيش فيه.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربِّ العالمين، وأصلي وأسلم على نبينا محمَّد، وعلى آله وأصحابهِ وأتباعهِ بإحسانٍ إلى يوم الدّين.

أَمَّا بَعْدُ:

أتقدم بالشكر الجزيل لإخواني في إعداد هذا البرنامج واختيار هذا الموضوع المبارك، وكذلك أثني وأشكر القائمين على هذا البرنامج وجميع العاملين فيه، وأسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يوفق الجميع لما يحب ويرضى.

وبعدُ:

القلوب والحديث عنها له أهمية عظيمة، وتتجلى هذه الأهمية من أمور:

- **أوله**: ما أشرتَ إليه في مقدمة الحلقة عنوانا لها: **نظر الله للقلوب**.

كما قال النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ، وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأعمالكُمْ**».

فالله جَلَّ وَعَلَا يزن المرء بما في قلبه، ولذلك ورد عن بعض الصحابة أنه قال: «إن من سبقكم لم يسبقكم بعمل عملوه وإنما سبقكم بإيمان وقر في قلوبهم».

● **والأمر الثاني**: **أن هذه القلوب لها أثر على سـائر حياة الإنسـان، وأثر على سائر أعماله وجوارحه.**

كما قال النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً، إِذَا صَلُحَتْ صَلُحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ**».

ولما رأى النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ رجلا يتحرك في الصلاة، قال صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ: «**لو سكن قلب هذا لسكنت جوارحه**».

لأن القلب يؤثر عليها ويحرّكها.

● **الأمر الثالث**: **أن القلب هو معيار قبول العمل.**

فصاحب القلب السليم الذي يبتعد عن الشرك وعن أمراض القلوب يُثيبه الله على أعلى الثواب وأعظم الجزاء، ولذلك أثنى الله جَلَّوَعَلَا على إبراهيم عَلَيۡهِٱلسَّلَامُ بأنه صاحب قلب سليم.

كذلك بالنسبة للقلوب، القلوب سريعة التقلب.

ولذلك على الإنسان أن يلاحظها كل لحظة وكل وقت لئلا يتقلب قلبه، كم من إنسان زاغ قلبه وانقلب من إيمان إلى ضده، ومن طاعة إلى ضدها في لحظة وثانية واحدة.

ولذلك على الإنسان أن يحافظ على قلبه، وأن يغار على قلبه أن يحلَّ فيه ما يجعله في أسفل سافلين.

ولذلك كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يدعو ربه: «يَا مُقَلِّبَ القُلُوبِ ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ، يَا مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ صَرِّفْ قَلْبِي عَلَى طَاعَتِكَ».

والراسخون في العلم ماذا يقولون؟

يقولون: ﴿ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ۝٨ ﴾ [آل عمران: ٨].

إذا كان هذا شأن علماء الشريعة الراسخين في العلم فما ظنك بغيرهم!

- **كذلك يترتب على ما في القلب ثمرات عظيمة في الدنيا وفي الآخرة،** كما قال سبحانه: ﴿ إِن يَعْلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ ﴾ [الأنفال: ٧٠].

وانظر قوله جَلَّ وَعَلَا عن الحكمين بين الزوجين: ﴿ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ ﴾ [النساء: ٣٥].

- **كذلك عمل القلب عمل سهل، ليس فيه كلفة، وليس فيه مشقة،** ويتمكن الإنسان من الإحاطة به، ومع ذلك يترتب عليه ثواب عظيم.

هذا العمل السهل اليسير الذي تتمكن به من الحصول على الأجور العظيمة، أيجدر بك يا أيها العاقل أن تفرط فيه؟!

ومن هنا فالحديث عن القلوب ومكانتها وأثرها في حياة المسلم له أهمية عظيمة ينبغي بنا أن نوليه العناية اللائقة به.

المقدِّم:

فضيلة الشيخ، نريد أن نعرِّف المشاهد الكريم ما هو هذا القلب؟

وما الفرق بينه وبين العقل؟ هناك من يمزج بين القلب والعقل في هذا الجانب؟

وهل هما كلمتان لمعنى واحد أم ماذا فضيلة الشيخ؟

أرجو التوجيه.

الشيخ:

● **القلب سمي بهذا الاسم «قلب» لتقلبه،** فهو على حال اليوم وغدا على حال آخر، ولذلك فهو يتقلب، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ بَيْنَ أُصْبُعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ**».

ولذلك علينا أن نعتني بهذا القلب من جهة، ونعرف أن هذا القلب يتقلَّب، وبالتالي يحرص الإنسان على إصلاح قلبه.

فالمقصود أن القلب سمي بهذا الاسم لتقلُّبه.

● **أما الفرق بينه وبين العقل:** القلب آلة، والعقل عمل، مثل ما نقول: العين والبصر؛ العين آلة والبصر عمل.

العقل فهم، هو عملية يعملها الإنسان بينما القلب هي الآلة.

❍ أين العقل؟ هل هو في الدماغ وفي الرأس أو هو في القلب؟

هذان قولان من القديم، والصواب أن مبدأ العقل من القلب ومنتهاه إلى الدماغ؛ فالدماغ هو الذي يحلّل هذه الأمور التي يجدها الإنسان بقلبه.

ولذلك إذا تغير شعور الإنسان بمحبة أو ببغضاء أول ما يجده في قلبه الذي في صدره، ثم بعد ينتقل إلى دماغه، فالدماغ هو الذي يحلّل هذه المعلومة، كما أن البصر آلته العين، والمبصر الحقيقي جهاز في الدماغ، وإن كان هناك نوع مغايرة لكن هذا أقرب ما يمثل هذه المسألة.

ولذلك كون بعض الناس إذا ضُرب رأسه تغيّر عقله، نقول صحيح لأن الدماغ محل العقل، فهو الذي ينتهي إليه العقل.

كون قلبه إذا غُيِّر لا تتغير مشاعره، نقول لأن القلب هو المبدأ، وأما أصل العملية العقلية ومنتهاها فهي في الدماغ، وبالتالي لا يوجد تناقض ولا تضاد بين الأمرين.

المقدِّم:

أحسن الله إليك فضيلة الشيخ ونفع الله بك الدنيا والآخرة.

لماذا سمّي القلب قلبا؟

ذكرتم جزء من ذلك لكن أريد أن أؤكد عليه حقيقة ونعيده.

ثم لماذا هو محل نظر الله؟ لماذا هذا القلب؟ لماذا لم يكن شيئا آخر محل نظر لله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟



الشيخ:

الأعمال مبدؤها القلب، هناك أعمال قلبية فمبدؤها ومنتهاها القلب من مثل الإخلاص، من مثل محبة الله جَلَّ وَعَلَا، من مثل التوكل عليه، الخوف منه، [..].

- **النوع الثاني**: أعمال تكون في بقية الجوارح، لكن لا بد أن تنتج أولا من القلب؛ لأن القلب هو الذي يصحح النية، ويجعل العمل خالصا لوجه الله، فالإخلاص محله القلب، ثم إن القلب هو مصدر العلم الذي به يصحح الإنسان عمله، ويجعله على وفق هدي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

والقلب هو الذي يعجب بهذا العمل بعد ذلك فيكون سببا من أسباب نقصان الأجر أو القلب أيضا يكون محل التوكل على الله الذي فيه استعانة على العمل الصالح.

ومن هنا فالقلب له أهميته وأثره، وكان محلا من محل نظر الله جَلَّ وَعَلَا للعباد، والله جَلَّ وَعَلَا لم يقتصر في النظر على القلب، كما أخبر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**».

فلا بد من الأمرين معا.

بعض الناس يقول: أنا أكتفي بقلبي، قلبي مؤمن، اشتمل قلبي على محبة الله ومحبة رسوله.

نقول: لو كان كلامك صحيحا لأثمر ذلك على جوارحك، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لو سكن قلب هذا لسكنت جوارحه**».

المقدِّم:

أحسن الله إليك فضيلة الشيخ ونفع بك في الدنيا والآخرة إن شاء الله.

طيب، هنا أيضا ما انتهيت منه فضيلة الشيخ، مكانة القلب مكانة عظيمة، والعناية به عناية بالغة الأهمية، خاصة وقد ذكرت أنه ينبغي أن يراجع الإنسان قلبه بين الفينة والأخرى.

- **كيف يراجع الإنسان قلبه؟**
- **وما هي الأدوات؟**
- **ما هي الوسائل التي يمكن بها أن يراجع الإنسان قلبه؟**
- **ما هي الوسائل؟**
- **ما هي الأوقات؟**
- **ما هي الأعمال التي يمكن أن يقيس بها الإنسان قلبه وأن يعرف بها مساره خاصة فيما يتعلق بطاعة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أو بمعصيته سبحانه عزَّ في شأنه؟**

الشيخ:

يكون هذا بثلاثة أمور:

- **الأمر الأول**: أمر ســابق للعمل بملاحظة إخلاص المرء، وتوكله على الله، واستعانته بالله عَزَّوَجَلَّ أن يعينه على العمل، هذه أمور سابقة للعمل.

– يجعل نيته خالصة لله.

– يتوكل على الله أن يجعله ممن يقوم بالعمل الصالح على أكمل الوجوه.

– يخاف من الله عَزَّوَجَلَّ لأن يقوم بخذلانه وعدم إعانته على هذا العمل، كذلك يرجو الله عَزَّوَجَلَّ ويفوِّض الأمر إليه.

- أثناء العمل أيضــا هناك أعمال قلبية متعلقة بالقلب؛ من مثل إخلاص العمل فيها، إخلاص النية لله عَزَّوَجَلَّ في هذا العمل، ومن مثل استشعار أن الله هو الذي أعانك على العمل، وهو الذي أقدرك عليه، ومن ثم فإنك تحاول أن تؤدي العمل على أكمل الوجوه وأتمها، وكذلك أن يكون عملك مستمدا من علم يكون العمل على وفقه.

- **هناك أيضــا أعمال قلبية للعمل البدني بعد نهاية العمل البدني**؛ من مثل سؤال الله جَلَّوَعَلَا بالقلب واللسان أن يقبل العمل، واستشعار أن التوفيق لهذا العمل نعمة من الله، فأنت ترجو من الله أن يعينك على شــكره من أجل أن تكون ممن استمد من الله عونا لإعادة هذا العمل مرة أخرى.

فإن من شــكر الله على عمل؛ فإنه حينئذ يثيبه الله بالزيادة من تلك النعمة التي أنعمها على العبد، ومن ذلك نعمة العمل.

- **كذلك فيما بعد العمل**: ألا يعجب الإنســان بنفســه، ولا بعمله، وأن يعرف أن الله جَلَّ وَعَلَا هو الذي وفقه لهذا العمل، فليس هذا منك يا أيها العبد، ولا من قدرتك، ولا من قوتك، وإنما هو إعانة من ربك جَلَّ وَعَلَا.

هناك أمر آخر في أثناء العمل -نسيت التنبيه عليه- وهو الصبر.

ففي أثناء العمل يصبر الإنسـان على العمل الصـالح الذي يؤديه؛ سـواء كان صــبرا على الإتيان بالعمل على أكمل وجوهه، أو صــبرا على المشــقة الكائنة في هذا العمل، أو صــبرا على قطع القلب عن بقية الأمور والأعمال الأخرى.

عندك إنسـان يشـاهد مباراة كورة فيؤذن للصـلاة، فيصـبر الإنسـان في هذه الحال، يقدِّم محبوب الله على محبوب نفســه، ويصــبر في قطع نظره عما كان يرغبه من مناظرة هذه القناة التلفزيونية، ثم ينتقل إلى المســجد داعيا لله، شاكرا له، راغبا في أجره وثوابه.

المقدِّم:

أحسن الله إليك معالي الشيخ، ونفع بك في الدنيا والآخرة.

طيب، هنا نريد حقيقة أن نوضح بعضا من الأنفس التي يمكن أن تتربى على هذا القلب؛ فهناك نفس مطمئنة -كما لا يخفى عليك فضيلة الشيخ-، وهناك النفس اللوامة، والنفس الخبيثة.

- هذا المشاهد وتلك المشاهدة، كيف لهم أن يعرفوا أو يتفحصوا قلوبهم، في أي القلوب تلك هي قلوبهم؟

- هل هي من القلوب المطمئنة؟

- أم هي من القلوب التي تلوم بين الفينة والأخرى؟

- أم هي -نسأل الله السلامة والعافية- من القلوب الخبيثة؟

الشيخ:

- القلوب -كما ذكرت- ثلاثة قلوب:

- **الأول**: مذكور في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدۡخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدۡخُلِي جَنَّتِي ٣٠﴾ [الفجر: ٢٧ – ٣٠].

صاحب القلب الطيب والنفس الطيبة من أهل الجنة، والنفس الطيبة هي المطمئنة على طاعة الله، المقبلة على شكر نعم الله، الراغبة في إرضاء الله جَلَّ وَعَلَا واستجلاب محبته.

● **النوع الثاني**: هو المذكور في قوله جَلَّ وَعَلَا: ﴿ ۞ وَمَآ أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣]، وهي النفس الأمارة بالسوء التي تأمر صاحبها بالمعاصي والإقدام على الذنوب.

● **والثالث**: النفس اللوامة، وهي التي تلوم صاحبها إما على فعل خير أو على فعل شر؛ لماذا أقدمت على هذه المعصية؟ لماذا أقدمت على هذا الخير؟

وهي وسط بين النفسين السابقين.

اختلف أهل العلم في هذه المسألة: هل هذه القلوب أنواع أو هي صفات؟

يعني: هل القلوب تنقسم إلى ثلاثة أقسام أو أن القلب الواحد مرة يتصف بهذه الصفة، ومرة يتصف بهذه الصفة، ومرة يتصف بهذه الصفة؟

ومؤدى القولين واحد، لكن ينبغي يلاحَظ أن القلب قد ينقلب من كونه مطمئنا إلى كونه لواما، إلى كونه أمارا بالسوء، والعكس بالعكس.

ومن هنا فإذا كان القلب على أسوء حالاته فلا ييأس صاحبه من روح الله، ولا ييأس من رحمة الله فقد يرحمه الله وييسر له قلبه ليكون على أكمل الوجوه وأتمّها.

إذا نظرنا مثلا إلى قصة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أقبل يريد قتل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

يعني: هذه أعلى حالات السوء في القلب، فقابله المقابل وقال له اذهب إلى ابن عمك سعيد بن زيد وأختك فاطمة فإنهما قد تبعا هذا الرجل، فذهب إليهما وحدث منه حدث، فلما قرأت عليه آيات من القرآن انقلب قلبه من كونه قلبا أمارا بالسوء، إلى كونه قلبا مطمئنا مؤمنا.

ولذلك لا ييأس الإنسان، ولو كان على أسوأ درجات القلب، فقد يحيي الله قلبه، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

يكون ميتا، ولا يكون عنده نور، مظلم القلب!

وينقلب في لحظة واحدة إلى أن يكون مؤمنا متقيا.

المقدِّم:

أحسن الله إليك فضيلة الشيخ، ونفع في الدنيا والآخرة إن شاء الله.

طيب، هل يمكن أن نتصور -نسأل الله أن يحفظ قلوبنا وقلوب المشاهدين والمشاهدات- أن نتصور أن هناك قلبا مسلما مؤمنا يكون مريضا أو ميتا في هذا الزمان فضيلة الشيخ؟

الشيخ:

كما تقدَّم، مرض القلوب يوجد في كل زمان.

وأمراض القلوب متعددة وكثيرة جدا، وإذا كان القلب مريضا بمرض أو مرضين فإنه لا يزال فيه قوة، وإذا تكاثرت عليه الذنوب وتعاظمت فإنها حينئذ قد ترديه.

من أعظم أمراض القلوب: الشهوات، وأعظم منها: الشبهات التي ترد على القلب فتميته بالكلية.

❍ **لما ذكر الله جَلَّ وَعَلَا أمثلة الناس في أول سورة البقرة، ذكر أنهم على ثلاثة أصناف:**

- **الصنف الأول**: أهل الإيمان.
- **الصنف الثاني**: أهل الكفر.
- **والصنف الثالث**: أهل النفاق.

ومثَّل لهم.

مثَّل لأهل النفاق بذلك الرجل الذي كان في ظلمة فأراد أن يوقد النار فلما أوقد النار ذهب الله بظلمة عينه.

فمثل هذا لا يرى ولا يبصر، فهذا منطمس البصيرة بالكلية، ميت القلب بالكلية.

● **والثاني عنده نور بسيط**، وعنده أمل بصيص كلما ساروا في ظلمة شديدة فيأتيهم البرق فيجعلهم يرون بعض الطريق فيسيرون، فمثل هذا عنده نور مثل نور البرق يجعله يمشي قليلا.

فالمقصـــود أن مرض النفاق يموت به القلب، ومرض النفاق قد يكون سببا للضعف الشديد للقلب.

المقدِّم:

الأخ أبو يوسف من الدنمارك تحدث عن قضية أنهم يعيشون على نقابة معينة ورواتب معينة، فإذا ما تم طلاق.. مثلا المطلقة لها راتب أكثر، فيقومون بعمل عملية تطليق وهمية ليست حقيقية حتى يزيد الراتب في هذا الجانب.

أرجو التوجيه فضيلة الشيخ والإرشاد لما هو أحق.

الشيخ:

أنعم الله جَلَّ وَعَلَا على المؤمن بهذا الدين العظيم، دين الإسلام الذي يصلحه في جميع أحواله، ويجعله صادق التعامل مع الجميع، والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩ ﴾ [التوبة: ١١٩].

هل الكذب من صفات أهل الإيمان؟

لا والله ليس من صفات أهل الإيمان، ولذلك ورد في الحديث أن المؤمن يطبع على الخلال كلها إلا الكذب والخيانة.

الخيانة عندما يُظهر الإنسان شيئا ويبطن خلافه، يُؤتمن على شيء، على معلومة يقولها فيخون ولا يُؤديها على الوجه المطلوب منه.

ولذلك ورد في الحديث أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**الصِّدْقُ طُمَأْنِينَةٌ، وَالْكَذِبُ رِيبَةٌ**».

وإذا كانت الأرزاق بيد رب العالمين، ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ [الرعد: ٢٦]، فإنه حينئذ تهنأ نفس المؤمن، ولا يُقدم على استجلاب الرزق بالمعصية.

والله تعالى يقول: ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۝٢ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢ – ٣]، فالرزق بيد الله وليس بيد الخلق.

فلذلك كيف تكذب؟ كيف تغش؟ كيف تخون؟ كيف تداري على حساب دينك من أجل شيء من الدنيا قليل تضيع به آخرتك ولا تهنأ به في حياتك، ولا يبارك لكم فيه؟!

وعد الله المؤمنين بالحياة الهانئة الطيبة في الدنيا قبل الآخرة: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٩٧﴾ [النحل: ٩٧].

يقول جَلَّ وَعَلَا: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأعراف: ٣٢].

وعد الله جَلَّ وَعَلَا أولئك الصادقين المؤمنين بالنصر والتمكين دنيا وآخرة:

﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ [غافر: ٥١].

وعد مَن؟

وعد رب العالمين، وعد القادر على كل شيء، وعد مَن الأرزاق في خزائنه جَلَّ وَعَلَا.

فإذا كان الأمر كذلك فما الداعي لاستجلاب أمور دنيوية غير مبارك فيها بمعصية الله التي تكون سببا لفوات الدنيا والآخرة.

إذا أخبر الإنسان أن زوجته طالق تطلق بذلك، أما إذا قال أنا وزوجتي لسنا على وفاق ولم ينو به طلاقا فهذا كناية لا يقع إلا بالنية وبالتالي لا يقع به الطلاق لأنه لم ينو الطلاق ولم يتلفظ به.

ولذلك يجتنب الإنسان في الإخبار عن مثل هذا أن يخبر بلفظ الطلاق، لكني أحذرهم من عقوبة الله في الدنيا قبل الآخرة للكذب والخيانة.

المقدِّم:

أحسن الله إليك فضيلة الشيخ ونفع بك في الدنيا والآخرة.

شيخ، الأخت أم سامي تقول: أصلي وأدعو الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ ثم تأتيني حالة من الخشوع فأبكي وأخشع، وفي لحظة يأتي إلي آت ويقول: أنت تكذبين، أنت لست صادقة، أنت تنافقين.. إلى آخره.

ما توجيهك للأخت أم سامي؟

الشيخ:

الدعاء عبادة صالحة يتقرب الإنسان بها إلى ربه، ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾ [غافر: ٦٠].

الخشوع لله عبادة صالحة يؤجر العبد عليها، ﴿ قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١ ٱلَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَٰشِعُونَ ۝٢ ﴾ [المؤمنون: ١ – ٢].

التضرع بين يدي الله وسؤاله عبادة صالحة يؤجر العبد عليها.

البكاء عبادة صالحة يؤجر العبد عليها فإن الله جَلَّ وَعَلَا أثنى على أولئك الذين يخرّون وهم يبكون.

ولذلك من وجدت فيه هذه العبادات فهو على خير عظيم وأجر كبير.

الشيطان إذا رأى العبد المؤمن يقدم على هذه الطاعات حسده وامتلأ قلبه غيظا منه، فبدأ يريد أن يفسد على المسلم الهناء بهذه الطاعات، بدأ يريد أن يبعد حلاوة هذه الطاعات عن قلب المؤمن بهذه الوساوس.

ما العلاج؟

عدم الالتفات إليها، لا تضع لها قيمة، هذه وساوس شيطانية يُريد صدَّك -يا أيها المؤمن- عن طاعة الله، يريد إبعادك عن الحلاوة الإيمانية التي

تســـتشـــعرها، فلا تلتفت إليها والتفت إلى خالقك وربك، واســـأله جَلَّوَعَلَا المعونة على كل أمرك.

الشيطان -كما تقدم- يوسوس، هذه الوسوسة إذا كانت مجرد وسوسة لا تؤثر على المسلم، لأن النبي صَلَّٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ يقول: «**إِنَّ اللهَ تَجَاوَزَ عَنْ أُمَّتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسَهَا، مَا لَمْ تَعْمَلْ أَوْ تَتَكَلَّمْ**».

إذا تجاوزت الوســاوس إلى شــيء آخر من ترك العمل، ترك البكاء، ترك الخشـية، ترك الخضـوع والتضـرع لله، فحينئذ المؤمن اسـتجاب لوسـاوس عدوه الشيطان، وليس من العقل في شيء أن يستجيب الإنسان لعدوه.

المقدِّم:

أحسن الله إليك فضيلة الشيخ ونفع بك الدنيا والآخرة.

أيضا ذكرت لما حجّت ورأت الكعبة، وبرؤيتها الكعبة فرحت وبكت، وهي لا تدري أهي فرحة خوف أم فرحة..

يعني: من قلبها واستئناسها برؤية هذه الكعبة، فهل هنالك..

وبدأت تذهب إلى الكعبة وتحاول أن تحتضـــنها فقالت لها أن هذه من الأخطاء التي يمكن أن تحدث عند بعض المسلمين والمسلمات.

أرجو التوجيه فيما ذكرت من هذا الشـــعور والمشــاعر والموقف الذي ذكرته.

الشيخ:

أما بالنسبة لفرح الإنسان برؤية الكعبة وقربه منها فهذا عمل صالح يؤجر العبد عليه، وهذا دليل إيمان، ﴿ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ ﴾ [يونس: ٥٨].

فالمؤمن يفرح بالطاعة، يفرح بكتاب الله، يفرح بقربه من مواطن عبادة الله جَلَّ وَعَلَا.

ومن هنا ففرحها إن شاء الله علامة على إيمان لديها.

وأما كونها قد أتت إلى الكعبة وضمّت البيت وتمسكت بأستار الكعبة، فالصواب من أقوال أهل العلم أن هذا عمل غير مشروع، لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعله، كان أهل الجاهلية يتمسكون بأستار الكعبة، ويدعون الله وهم كذلك، ولما دخل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أمر بإحضار أو قتل ابن خطل، قال: «وَإِنْ وَجَدْتُمُوهُ مُتَعَلِّقًا بِأَسْتَارِ الْكَعْبَةِ» لأنهم كذلك يفعلون في الجاهلية.

لكن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يفعل هذا الفعل، ومن هنا فخير الهدي هدي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فالتمسك بأستار الكعبة والتعلق بها ليس من فعل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولا من فعل صحابته، ومن ثمَّ لا نحتاج إليه.

وإذا كان الله جَلَّ وَعَلَا قد وعد المؤمن بإجابة دعائه في أي موطن من البيت فليدع في أي مكان، وليس للقرب من الكعبة خاصية، أي مكان دعوت الله فيه فإن شاء الله أنه سيجاب لدعائك.

يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُسْتَجَابُ لِأَحَدِكُمْ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ».

يقول الله جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ [البقرة: ١٨٦].

المقدِّم:

أحسن الله إليك فضيلة الشيخ، ونفع بك في الدنيا والآخرة.

هنا أخونا أبو عبد الكريم ذكر أيضا الذكر وأهمية صياغته اليومية للقلب، ورعايته للقلب، وحصانته القلب.

فما أهمية الذكر، وذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى في صياغة القلب اليومية وتثبيته في هذا الجانب؟

الشيخ:

ذكر الله جَلَّ وَعَلَا تحصل به فوائد كثيرة متعلقة بالقلب، فإن ذكر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يجعل الرب جَلَّ وَعَلَا يذكر العبد، وإذا ذكرك الله أبعد عنك أنواع الشرور ومنها أمراض القلوب، كما قال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾

[البقرة: ١٥٢]، ذكر الله يبعد الشياطين، ويجعل الشياطين لا توسوس في القلب، فإن الله جَلَّ وَعَلَا قد ذكر عن الشيطان أنه خناس وسواس، يخنس وينقمع إذا أكثر الإنسان من ذكر الله، ويوسوس في القلب إذا غفل العبد عن ذكر الله جَلَّ وَعَلَا.

- **ثالثا**: ذكر الله يجلب الطمأنينة، وصاحب الطمأنينة يتمكن من إصلاح قلبه، أما صاحب الطيش والعجلة وعدم الترفق والتأمل يكون ذلك سببا لتغلغل أمراض القلوب في قلبه.

- **الأمر الرابع**: أن من أنواع الذكر: دعاء الله جَلَّ وَعَلَا، والعبد المؤمن يسأل ربه أن يصلح قلبه، فإن فساد القلب فساد للدنيا والآخرة، وإذا دعوت الله، والدعاء نوع من أنواع الذكر استجاب الله دعاءك وأصلح قلبك، وخصوصا ما يتعلق بالإخلاص.

- **أمر آخر**: أن الأعمال الصالحة كالسلسلة يجر بعضها بعضا، فإذا عملت عملا صالحا جلب الله لك عملا آخر صالحا بسبب العمل الصالح الأول.

فإذا عملت صالحا من ذكر الله جلب الله لك خيرات؛ ومنها صلاح القلب.

المقدِّم:

أحسن الله إليك فضيلة الشيخ ونفع بك.

طيب، هنا ساقني هذا السؤال إلى أمر آخر فضيلة الشيخ، وهو متعلق أيضا بالقلوب، فالبعض من المسلمين هداهم الله تجده يزيد فيما يتعلق بالذكر فيغالي في هذا الذكر أو يوجد من الذكر ما ليس من هدي النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، كما عند بعض الفرق المعروفة والتي انتشرت في عالمنا الإسلامي، وقد ضلّت عن الطريق بهذا الأمر، فعندما تحاكي أو تحادث أحدا منهم يقول أنا قلبي سليم ولا أبالي بما أذكر بلساني أو أفتعل بأفعالي في هذا الجانب.

فكيف يمكن للإنسان أن يتحرّى السنة أو يتحرّى العقيدة الصحيحة فيما يتعلق بالذكر ومساراته التي ينبغي أن يسير عليها، وأن يبتعد عن الشرك وعن الشبهات التي يمكن أن توقعه في مثل هذه المهالك وهذه البدع التي لم يخلق الله لها من سلطان.

الشيخ:

۞ الجواب عن هذا من أوجه:

● **الوجه الأول**: أن العبرة ليست بكثرة العمل وإنما بإحسان العمل، ولذلك قال تعالى: ﴿ لِيَبۡلُوَكُمۡ أَيُّكُمۡ أَحۡسَنُ عَمَلٗاۚ ﴾ [الملك: ٢]، لم يقل: أكثركم عملا.

❍ وإحسان العمل يتم بشيئين:

- إخلاص لله.

- ومتابعة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فمن لم يتابع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يحسن العمل، ولذلك قال: «**مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ**»، **يعني**: أنه غير مقبول عند الله جَلَّ وَعَلَا.

● **الأمر الثاني**: أن العمل القليل الفاضل خير من العمل المفضول ولو كثر، ولذلك لما خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الفجر من بيته ثم عاد إليه ضحى وجد زوجته على مكانها تسبِّح، فسألها: «**لَمْ تَزَالِي فِي مُصَلَّاكِ هَذَا؟**»، قالت: نعم، قال: «**قَدْ قُلْتُ بَعْدَكِ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، لَوْ وُزِنَتْ بِمَا قُلْتِ لَوَزَنَتْهُنَّ، سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ عَدَدَ خَلْقِهِ، وَرِضَا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ**».

انظر، أربع كلمات عدلت ذكر تلك المرأة في هذه الأوقات الطويلة، فإذا كان العمل في سنة أثيب الإنسان عليه الثواب الكثير ولو كان قليلا، وإذا لم يكن العمل على وفق السنة فإنه لن يثاب عليه الثواب الكثير، بل قد يكون ذلك سببا لوزره، وذلك أن هذا الدين كامل، فعندما يأتي إنسان ويقول: أنا سأتقرب لله بعبادة الاصطلام، أو بضرب الدفوف، أو بالكشف، أو بغير ذلك من هذه الأمور التي لم تنقل عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

فنقول: لو كان خيرا لهدانا إليه رب العزة والجلال، ولأمرنا به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فإن الدين كامل، والكامل لا يحتاج إلى أن يزيد فيه أحد،

﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ﴾ [المائدة: ٣]، ولا نحتاج إلى عبادات جديدة يأتي بها زيد أو عبيد أو خالد أو فهد أو الولي الفلاني أو صاحب المقام الفلاني.

كل هذه لا نحتاج إليها لأن ديننا كامل لا نحتاج معه إلى زيادة.

حينئذ هذا الذكر الذي ليس على وفق الهدي النبوي يمرض القلب، ويجعله محلا لعدد من الأمراض، بخلاف الذكر الذي يكون على وفق الهدي النبوي فإنه يكون جالبا للأدوية التي تعالج بها القلوب.

ثم إن الطريقة النبوية جاءت بألفاظ موجزة تدل على معان كثيرة.

أمثل لهذا بأصحاب التجارة: عندك محلان أحدهما محل سباكة وبجواره محل عقار، محل السباكة يخرج في الساعة بمائة، بمائتين، بثلاث مائة ريال، ثم ساعة، في اليوم يخرج خمس ست مرات حصَّل ألف وخمسمائة ريال.

بجواره صاحب محل العقار، الأول فتح من الساعة السابعة صباحا ولم يغلق إلا الساعة السابعة مساء، بجواره صاحب محل العقار لم يفتح إلا الساعة التاسعة وأغلق مع آذان الظهر، وجاءته بيعة واحدة سعيها خمسة آلاف ريال.

لماذا؟

إذن: كلاهما على خير هنا، لكن أنا أضـــرب لـك مثلا للمتبع للهـدي النبوي فإنه يؤجر الأجور العظيمة ولو كان بعمل قليل، والآخر يعمل أعمالا كثيرة ولكن الأجر فيها قليل.

فالعاقل مع أي النشاطين يذهب؟

وما هي الطريقة الأفضل له؟

فحينئذ ينبغي بنا أن نتبع الهدي النبوي، ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْـَٔاخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٢١].

المقدِّم:

أحسن الله إليك فضيلة الشيخ.

طيب، هنا فضـيلة الشـيخ أيضـا لو أن هذا أتى بذكر لم يأت عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فهل له أجر أم عليه وزر في هذا الجانب لأنه ابتدع في الدين، فأرجو التوجيه في هذا فضيلة الشيخ.

الشيخ:

❍ أنواع الذكر:

- منها أذكار مقيدة بألفاظ، مثل الأذكار التي بعد الصلوات، مثل الأذكار التي في الركوع، في السجود، في أذكار الصباح والمساء، فهذه لا بد من التقيد بما ورد عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ.

- هناك نوع آخر ورد مطلقا، فإذا فرغ من التحيات فليدع بما شاء، وورد فيه أدعية عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في هذا الموطن، فنقول يجوز للإنسان أن يدعو بما شاء.

لكن إذا أراد الأجر الفاضل فليدع بالأدعية النبوية فإنها تشمل ما دعا به، فإن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ كان يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما سوى ذلك.

لما تأتي وتدعو بثلاث وتجلب لك خيري الدنيا والآخرة هذا أولى من أن تدعو بجزئيات يسيرة تتعب نفسك في طلبها، ولذلك ورد في الحديث: «**أَجْمِلُوا فِي الطَّلَبِ**»، وذلك أن الله عَزَّوَجَلَّ لا يستعظمه شيء، وإذا أراد أن يهب الشيء الكثير تمكَّن منه.

المقدِّم:

معالي الشيخ، فيما يتعلق بهذا الجانب، هنا نريد شرحا من معاليكم لقاعدة: «التخلية قبل التحلية»، هنا من أصيب ببعض من أمراض القلوب، ووساوس القلوب، وبعض من..

كيف يمكن له أن يخلِّي هذه الجوانب ثم يحلِّيها بالذي ينبغي أن يكون فيها.

الشيخ:

هذه الكلمة: «**التخلية قبل التحلية**»، يقولها بعض أهل العلم، ويرون أن البدن والقلب أولا يبعد عن المعصية ثم بعد ذلك يكسب الطاعة، لكن هذا القول ليس بصحيح، وقول خاطئ؛ فإن القلب يمكن أن تجتمع فيه طاعة وفيه معصية، والبدن يمكن أن يكون المرء مطيعا في زمن عاصيا في زمن آخر.

وحينئذ فنحن نقول: عليك بالتحلية، ثم التحلية، ثم التحلية.

وعليك بالتخلية، ثم التخلية، ثم التخلية، ولا تجعل بينهما ترتيبا، ما تمكَّنت منه منهما فبادر إليه، إذا تحليت بأعمال صالحة من أعمال القلوب بإذن الله سيجعلك الله جَلَّ وَعَلَا من بعض هذه الأمراض التي تصيب القلب، فهما مترابطان، التحلية والتخلية، إذا تحلّيت بعمل صالح قلبي خلّى الله جَلَّ وَعَلَا رحمة منه وإحسانا إليك قلبك من بعض أمراض القلوب.

فالقول بأننا أولا نصفِّي القلب، ثم بعد ذلك ندخل فيه المواد الطيبة، هذا في الأمور الحسية، أنت إذا أردت أن تأتي بمحل: تنظّفه أولا، ثم بعد ذلك تورد عليه الأشياء الطيبة.

لكن لا مانع، حتى في الأشياء الحسية، عندك غرفة كلما نظّفت جزءا منها رتبته وهيأته ووضعت فيه ما يلائمه.



هذا التنظيف يخفف من الأثر الموجود في بقية هذه الغرفة، ولا يمكن أن تكون هناك تخلية تامة إلا بتحلية، بل إن كثيرا من أهل العلم يرى أن الحسنات الحاصلة بالتحلية أولى وأفضل مما يحصل بالتخلية لأن الأثر المترتب على العمل الصالح أعظم من الأثر المترتب على ترك العمل السيء، وذلك لأن العمل الصالح فيه حسنات كثيرة، ويؤثر على مجتمع الإنسان، ويؤثر على نفسية الإنسان، ويؤثر أيضا في كون الإنسان داعية إلى الله جَلَّ وَعَلَا.

ومن ثم ليس من شرط الاتصاف بالعمل الصالح عدم فعل العمل السيئ، وإنما من آثار العمل الصالح أن يوفقك الله جَلَّ وَعَلَا لترك الأعمال السيئة.

المقدِّم:

الأخ هاني سأل، وهنا أيضا من محاورنا، يعني: ما هي أمراض القلوب المتعارف عليها أو علل القلوب؟ وكيف يمكن للإنسان أن يتخلص منها؟

الشيخ:

- **أمراض القلوب كثيرة وعديدة وخطيرة، أشدها مرضان:**

- **أولهما**: مرض الشبهة، كما قال تعالى: ﴿فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا﴾ [البقرة: ١٠] إلى مرضهم.

● **والثاني**: مرض الشهوة، كما قال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الأحزاب: ٣٢].

هذه أشد أمراض القلوب، وهناك أمراض كثيرة؛ هناك حسد، حقد، كبر، رياء، هناك أيضا عجب، بذاءة، عشق، إلى غير ذلك من الأمراض الكثيرة، أنا لا أستطيع أن أحصرها في مثل هذا اللقاء.

وأنت تعلم أننا في الأيام الماضية في أربعة لقاءات أو خمسة استحضرنا أعمالا كثيرة، أمراضا كثيرة من أمراض القلوب ولم نستوعبها لأنها كثيرة.

ولعل الإخوان إن شاء الله في الدورة يقومون بتسجيلها ووضعها في بعض مواقع الأنترنت ويستفيد منها المسلمون.

المقدِّم:

فضيلة الشيخ هل للعلم الشرعي دور في المحافظة على القلب من هذه الأمراض؟ وما هو الدور المنوط بالعلم الشرعي، وأهمية تعلّم العلم الشرعي في المحافظة على كيان هذا القلب والمسير به إلى الذي يريده الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وينبغي أن يكون عليه المؤمن، وينبغي أن تكون عليه المؤمنة.

الشيخ:

إذا كان الإنسان يسير في طريق مظلم سيقع وسيصطدم وسينتج له نواتج غير مرغوبة.

الطريق مظلم، مرة في طين، ومرة في حصـــاة، ومرة في خشــبة، ومرة في مسمار، ومرة..

فإذا أحضــر معه كشـــافا صــغيرا يرى بها الطريق، فإنه يبدأ يتمكن من اجتناب كثير مما أمامه، فإذا كان الذي معه كشـــاف كبير يضــيء له الطريق إضاءة كاملة، ما ظنك بهذا؟

﴿ أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُۥ نُورًا يَمْشِى بِهِۦ فِى ٱلنَّاسِ ﴾ [الأنعام: ١٢٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا ﴾ [الأنفال: ٢٩]، **يعني**: قدرة تميِّزون بها بين الحق والباطل، هذا الفرقان هو العلم.

ولذلك ذكر الله جَلَّ وَعَلَا أن العلم ينتج أشـياء كثيرة، العلم يجعل الإنسـان يخاف من الله لأنه يعرف صــفاته جَلَّ وَعَلَا، يعرف أنه قادر، يعرف أنه مطَّلع، يعرف أنه لا يخفى عليه شيء، يعرف أنه عما قريب سيلاقي الله جَلَّ وَعَلَا.

ولذلك قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ ﴾ [فاطر: ٢٨].

❍ مَن هم العلماء؟

العلماء بالله وبشرعه، هم الذين يخشونه، لما عرفوا الله، وعرفوا قدرته، وعرفوا سطوته، وعرفوا مراقبته، وعرفوا شدة عقوبته، وعرفوا أن العباد سيرجعون إلى الله، ازدادت خشيتهم من الله ومخافتهم منه جَلَّ وَعَلَا.

كذلك العلم يجعل الإنسان يسير على طريقة واضحة جلية في أعماله الصالحة التي يتقرب بها لله عَزَّوَجَلَّ، ومن ثَمَّ يكون صاحب بصر.

● **الأمر الثالث**: أن العلم يمكِّن الإنسان من دعوة الخلق إلى الله والالتزام بشريعته، فيكون المرء مأجورا أجرا كثيرا بسبب دعوته للناس، فإن الدعاة إلى الله هم خير البشر، هم أفضل الناس، هم أحسن من يتكلم.

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝٣٣ ﴾ [فصلت: ٣٣].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الزمر: ٩].

وقال جَلَّ وَعَلَا: ﴿ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ ﴾ [المجادلة: ١١].

ولذلك فالعلم سبب من أسباب تحصيل الأجور العظيمة، إذا حصَّل الإنسان أجرا عظيما بسبب هدايته للخلق فإن الله جَلَّ وَعَلَا سيزيد في هدايته،

ويزيد في أجره، ويزيد في نور قلبه، ويبعد عنه الأمراض، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ ﴾ [محمد: ١٧].

العلم يورث التقوى عند المرء، وإذا وجدت التقوى وهي مخافة الله والإقدام على العمل الصالح والإحجام عن العمل السيء خوفا من الله، ورغبة في أجر الله، ومحبة لله، كان العبد بذلك من أعظم الناس منزلة عند الله، ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾ [الحجرات: ١٣].

المقدِّم:

أحسن الله إليك فضيلة الشيخ ونفع بك في الدنيا والآخرة.

طيب، فضيلة الشيخ هنا القلب يحتاج إلى بعض من الوسائل التي تعينه على أن يكون يقظا من تلك الأمراض، ولعل من أهم تلك الوسائل ما يتعلق بتذكر اليوم الآخر.

فما هي أهمية تذكر الإنسان لليوم الآخر، وللقبر، وللمحشر، ولغيرها، وللمصير الآخر، الحياة التي يمكن أن تكون نهايتها للإنسان في هذا الجانب.

وكذلك أيضا معرفة تلك المسارات، وتلك الأمور التي يمكن أن تكون في هذا الجانب، فكيف يكون اليوم الآخر مذكِّرا وعارفا لهذا الجانب فضيلة الشيخ؟

يعني: كيف يمكن للإنسان أن يجعل الحياة الآخرة مذكّرة له، وموقظة لقلبه من أن تتغلغل فيه تلك الأمراض؛ أمراض القلوب.

الشيخ:

إذا عرف الإنسان أن حياته لها أمد، وإذا عرف الإنسان أن العوارض التي تؤدي إلى نقله من الدنيا إلى الآخرة كثيرة.

حوادث السيارات نسمع بها كثيرا، يأتي الإنسان ويأتيه أمر من غير إرادته ولا اختياره يبعده عن الحياة، يسير فإذا به قد هوى في مزلَّة، في بئر قد لم يطمر طمرا جيدا ويكون ذلك آخر حياته، بل وهو في بيته عند انتقاله مع الدرج أو استحمامه في حمام السباحة، يزلق فيكون ذلك آخر عهده بالحياة.

بل وهو جالس في كرسيه يأتيه ملك الموت!

تأمن أنت أن يأتيك الآن الموت بجلطة دماغ أو سكتة قلب.

هل تأمن؟

كلنا لا نأمن، وإذا كان الأمر كذلك كيف لا نعد عملا صالحا للحياة الحقيقية التي هي الآخرة.

إذا نظرنا في قرابتنا، كم من واحد ودّعناه، من هو في أسناننا، وممن هو أصغر منا سنا!

ألسنا عقلاء فنعتبر ونقول: ما جاء إلى غيرنا سيأتي إلينا؟!

أو أين العقل؟

ثم إننا إذا قارنا بين هذه الحياة والحياة الآخرة، كم السنوات في هذه الدنيا؟

قليلة.

والآخرة؟

أبد الآباد.

النعيم في هذه الدنيا لمن حصّله مكدَّر بالمصائب والأكدار، والنعيم في الآخرة خالص، ﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧﴾ [الأعلى: ١٧].

إذا كان الأمر كذلك، وإذا علمنا أن الدنيا لن تطيب إلا لمن أحسن في عمل الآخرة، فحينئذ نقول: العاقل من استفاد من إيمانه بالآخرة تقوى في قلبه وعملا صالحا يزيده مرتبة عند الله جَلَّ وَعَلَا.

ثم إنك يا أيها المؤمن تعلم أنك ستقف بين يدي الله يوم القيامة، وسيكون هناك خطاب بينك وبين الله، يقول النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا سَيُكَلِّمُهُ رَبُّهُ لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ تُرْجُمَانٌ، فَيَنْظُرُ أَيْمَنَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ مِنْ عَمَلِهِ، وَيَنْظُرُ أَشْأَمَ مِنْهُ فَلاَ يَرَى إِلَّا مَا قَدَّمَ، وَيَنْظُرُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَلاَ يَرَى إِلَّا النَّارَ تِلْقَاءَ وَجْهِهِ، فَاتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ**».

العمل القليل هذا «شق تمرة» ينفعك ويمكن أن يقيك نار جهنم الذي يكون أمامك يوم القيامة.

ومن هنا فينبغي للإنسان أن يجعل عمله في الدنيا كله للآخرة.

كيف يجعله؟

هذا قد يستصحبه بعض الناس، يقول: كيف أجعل عملي للآخرة؟ تريدني مغفل؟

نقول: لا، إن عمل الآخرة سهل يسير، ويمكن أن تستجلبه بأمور الدنيا.

أنت الآن تذهب إلى عملك، فانوِ بذهابك التقرب لله لأن الله أمرك بالوفاء بالعهد، وأمرك بجعل راتبك حلالا، وأمرك بطاعة ولي أمرك.

أنت الآن تقوم بالذهاب بأبنائك إلى المدرسة، تقرَّب إلى الله بذلك، وأنت ستفعله على كل حال، لكن اجعله لله لأن الله أمرك بتربية أبنائك ووقايتهم من كل ما يسوؤهم دنيا وآخرة.

إذا قابلت إخوانك ستبتسم معهم، فاجعله لله «**تَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ**».

أنا أحبك وأحب المشاهدين كلهم لله، فكان ذلك عملا صالحا يؤجر العبد عليه.

هل يكلفك شيء إذا أحببت المؤمنين؟

لن تجد حلاوة الإيمان إلا إذا أحببت في الله، «**أَوْثَقُ عُرَى الْإِيمَانِ الْحُبُّ فِي اللهِ وَالْبُغْضُ فِي اللهِ**».

إذا أكرمت ضيفك وكانت نيتك لله، أجرك الله.

إذا تكلمت بالكلام الطيب الحســن الهين اللين طاعة لله وامتثالا لقوله: ﴿ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]، آجرك الله.

أنت ستفعله.

لماذا تفعله؟

يقول: مجاملة.

يا أخي قل: لله، لا تقل مجاملة.

بل طعامك الذي تأكله إذا نويت به التَّقَوِّي على طاعة الله أُجِرت عليه.

اللحم الذي تأكله، المكرونة، وحبة الأرز، وقطعة الخضار، والخبز..

إذا نويت بها تقربا لله أُجِرت على كل ذرة من هذا الأكل.

كذلك في نومك إذا نويت به التقوى على طاعة الله، نمت مبكرا لتقوم لصــلاة الليل، أو لتقوم لصــلاة الفجر أُجِرت على كل ثانية في نومك، كأم موسى ترضع ولدها وتُعطى الأجرة، تريح بدنك ويأجرك الله على نومك.

الله أكبر.

المقدِّم:

شيخنا الحبيب فيما يتعلق بالمجاهدة.

مجاهدة النفس على أن نكون ممن يصلح القلب، ويسعى في صلاح هذا القلب، كيف يمكن لنا أن نجعل هذه النفس مجاهدة لإصلاح هذا القلب وللمحافظة عليه بين الفينة والأخرى، بين اللحظة والأخرى من أن تدخله، أو أن تعتريه، أو أن تسكنه أمراض القلوب، فكيف للنفس بالمجاهدة؟ وما هي الوسائل التي يمكن أن تساعد على المجاهدة؟

الشيخ:

سؤال عظيم! ونحن في أشد الحاجة إلى الجواب عنه.

دخل إنسان في غرفة من الغرف، ولما دخل في هذه الغرفة جاء لصوص وأحاطوا به من كل جهة.

هذا: نفس، وهذا: من شياطين الإنس، وهذا: من شياطين الجن، وهذا: إبليس اللعين، وهذا: صديق سوء، وهذه: قنوات تلفزيونية فاسدة مفسدة، وهذا، وهذا..

كل هذه تريد أن تقتض عليك وتقطّع قلبك قطعا قطعا.

إذن: لا بد أن تكون لك حماية تحميك، لا بد لك من جنود.

- **أولا:** تتصل بمن يحميك من هؤلاء.

تتصل على مَن؟

على الله، رب العزة والجلال.

مثلما تتصل بالشرطة ليحموك من اللصوص، فأعظم من هذا اتصل بالله عَزَّوَجَلَّ، والتجئ إليه سبحانه أن يحميك من هذا السوء.

- **ثم بعد ذلك**: خذ السلاح الذي يحميك، ذكر جَلَّوَعَلَا، والاستعاذة من هذه الشياطين.

ثم بعد ذلك: اعمل أعمالا صالحة تضاد هذا.

كان النبي صلى يدعو فيستعيذ من شرور نفسه ومن سيئات عمله.

الأعمال السيئة إذا فعلت واحد جرَّ آخر، فإذا عملت عملا سيئا فتبت منه مباشرة وقاك الله جَلَّوَعَلَا آثار ذلك الفعل السيء.

سؤال مجاهدة القلب سؤال يحتاج إلى وقت طويل في الإجابة.

نسـأل الله جَلَّوَعَلَا أن يوفقنا وإياك لخيري الدنيا والآخرة، وأن يجعلنا وإياك من الهداة المهتدين، وجميع المشـاهدين، وجميع المسـلمين في مشارق الأرض ومغاربها.

الذي أوصيكم به: الدعوة القليلة لكافة المسلمين لتكونوا ممن قيل لهم: «ولكم بمثل»، وأوصيكم بمحبة أهل الإيمان في مشـارق الأرض ومغاربها لتؤجروا على ذلك.

أسأل الله جَلَّ وَعَلَا أن يوفقنا وإياكم لكل خير،

وأن يجزي القائمين على هذا البرنامج والعاملين فيه الخير،

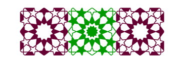
وأن يوفق ولاة أمورنا لما يحب ويرضى،

وأن يجعلهم من أسباب الهدى والتقى والصلاح،

والسعادة للناس أجمعين.

هذا والله أعلم،

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.



المقدِّم:

أحسن الله إليك فضيلة الشيخ ونفع بك.

معالي الشيخ الدكتور: سعد بن ناصر الشّثري، عضو هيئة كبار العلماء سابقا في المملكة العربية السعودية، وعضو هيئة التدريس بجامعة الإمام سابقا، وأيضا عضو هيئة التدريس بجامعة المعرفة العالمية.

شكرا لك على ما قدّمت، ونفع الله بك في الدنيا والآخرة، وجزيت الجنة على استجابتك لدعوة إخوانك في قطر.

بارك الله فيك، وبارك لك، ورفع بك أينما كنت، وحيثما كنت فضيلة الشيخ، وجزيت الجنة.

بث هذا اللقاء

في الحادي عشر من شهر ديسمبر

سَنَةَ ألفين وتسعة ميلادي

بقناة قطر الفضائية.

